



إن أعظم عبرة لازال يصبح بها العقلاء لفصالـل سورـيا هي "عبرـة العـراقـ" ، ولو نـطقـ التـارـيخـ لـصـاحـ مـعـهـمـ بـأـعـلـىـ صـوـتـهـ: هـاـ أـنـاـ أـعـيـدـ فـيـكـمـ تـجـرـيـةـ العـراـقـ بـكـلـ مـآـسـيـهـاـ ، وـأـدـوـاتـهـاـ بـلـ إـمـعـاـنـاـ فـيـ إـقـامـةـ الـحـجـةـ أـعـيـدـهـاـ بـنـفـسـ الـفـكـرـ وـالـمـشـرـوـعـ وـالـفـصـيـلـ!ـ.

إنـ الـذـيـ لـاـ يـعـرـفـ التـجـرـيـةـ الـعـراـقـيـةـ إـبـاـنـ الـغـزوـ الـأـمـرـيـكـيـ، وـمـاـ جـرـىـ لـفـصـائـلـ فـيـ تـلـكـ الـحـقـبـةـ يـظـنـ أـنـ الـمـبـالـغـاتـ وـالـتـهـوـيلـ وـأـطـرـ التـجـرـيـةـ الـعـراـقـيـةـ لـتـرـاـكـبـ التـجـرـيـةـ السـوـرـيـةـ هـوـ سـبـيلـ دـعـاـةـ "ـالـاعـتـبـارـ"ـ لـغـرـضـ فـيـ أـنـفـسـهـمـ إـسـقـاطـ فـصـيـلـ بـعـيـنـهـ يـعـتـبـرـهـ مـنـاصـرـوـهـ وـقـوـدـ الـثـوـرـةـ السـوـرـيـةـ!ـ.

دعـونـاـ نـرـمـيـ كـلـ هـذـهـ الدـعـاوـيـ وـالـتـجـارـبـ خـلـفـ ظـهـورـنـاـ وـنـقـدـ أـمـامـ التـارـيخـ "ـالـمـعـاـصـرـ"ـ لـيـخـبـرـنـاـ وـهـوـ شـاهـدـ عـيـانـ عـدـلـ لـاـ يـقـولـ إـلـاـ مـاـ وـقـعـ، وـلـاـ يـشـهـدـ إـلـاـ بـمـاـ جـرـىـ، وـلـيـسـ لـهـ مـنـ التـكـهـنـاتـ فـيـ قـابـلـ الـأـيـامـ وـلـاـ التـحـلـيـلـاتـ بـمـصـيـرـ التـجـارـبـ كـبـيرـ أوـ صـغـيرـ.ـ هـاـ نـحـنـ أـنـ نـسـتـنـطـقـ التـارـيخـ لـيـحـدـثـنـاـ عـنـ مـسـارـهـ فـيـ الـعـرـاقـ فـيـسـتـهـلـ مـتـحـدـثـ:ـ كـنـتـ شـاهـدـ عـيـانـ وـمـوـتـقـ حـدـثـ عـنـدـمـاـ هـجـمـ الـأـمـرـيـكـيـ عـلـىـ الـفـلـوـجـةـ، وـصـبـوـاـ عـلـيـهـاـ حـقـدـمـ الـصـلـيـبـيـ، فـتـدـاعـيـ الـمـسـلـمـونـ لـنـصـرـتـهـاـ وـإـغـاثـةـ أـهـلـهـاـ، فـخـرـجـ رـجـلـ يـقـالـ لـهـ:ـ أـحـمـدـ فـاضـلـ الـخـالـيـلـ اـشـتـهـرـ بـكـنـيـتـهـ "ـأـبـوـ مـصـبـعـ الـزـرـقاـوـيـ"ـ وـهـوـ يـتـبـعـ لـتـنـظـيـمـ الـقـاعـدـةـ، فـطـافـ بـفـصـائـلـ الـعـرـاقـيـةـ وـزـوـقـ لـهـ الـكـلـامـ وـحـسـنـهـ فـيـ التـوـحـدـ تـحـتـ مـسـمـيـ وـاحـدـ يـرـمـيـ دـوـنـهـ مـسـمـيـ كـلـ فـصـيـلـ وـيـخـتـارـ لـهـ قـائـدـ وـاحـدـ تـبـعـهـ فـصـائـلـ، وـبـعـدـ حـمـلـةـ إـعـلـامـيـةـ فـيـ الـمـنـتـدـيـاتـ وـالـمـوـاـقـعـ إـلـكـتـرـوـنـيـةـ وـتـحـتـ ضـغـطـ الـوـاقـعـ مـنـ تـدـمـيرـ الـفـلـوـجـةـ وـلـدـ "ـمـجـلـسـ شـورـىـ الـمـجـاهـدـيـنـ"ـ عـامـ 2006ـ وـالـمـكـونـ مـنـ 7ـ فـصـائـلـ فـقـطـ، وـاـشـتـهـرـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ أـنـهـاـ فـصـائـلـ الـفـاعـلـةـ فـيـ الـمـقاـوـمـ الـعـرـاقـيـةـ، وـاـخـتـيـرـ الـزـرـقاـوـيـ لـيـكـونـ أـمـيـرـاـ عـلـىـ هـذـهـ التـوـحـدـ الـجـدـيدـ فـكـانـتـ قـيـادـةـ الـقـاعـدـةـ فـيـ خـرـاسـانـ هـيـ أـوـلـ الـمـبـارـكـيـنـ لـهـ وـالـدـاعـيـنـ لـلـانـضـمـامـ إـلـيـهـ!ـ يـتـوقفـ التـارـيخـ بـرـهـ لـيـكـمـ حـدـيـثـ قـائـلـ:ـ بـدـأـتـ عـمـلـيـاتـ الـاـغـتـيـالـ لـكـوـادـرـ بـقـيـةـ الـفـصـائـلـ الـعـرـاقـيـةـ الـتـيـ لـمـ تـنـضـمـ لـمـجـلـسـ شـورـىـ

المجاهدين، وبدأت تتفكك فصائلهم، ثم يُرسل لأفراد تلك الفصائل بعض شرعبيه مُرغبيين ومرهبيين للانضمام إليه بدعوى أنه أمل الساحة الوحيد!.

تضخم مجلس شورى المجاهدين من سلب الفصائل الصغيرة سلاحها، وبعد حين بدأت الاغتيالات تطال قادة مجلس شورى المجاهدين ممن لا ينتهي فكر القاعدة، فلم يعد عام واحد إلا لون السواد يكسو المجلس !

يسترسل التاريخ في شهادته على تلك الحقبة قائلاً: قُتل الزرقاوي فتأمر على المجلس رجل يقال له: حامد داود الزاوي اشتهر بكنيته "أبو عمر البغدادي" فكان أول أعماله أن أنشب الحرب الإعلامية على العشائر والفصائل التي لها أجنحة سياسية، تخوينا واتهاماً ثم هجم عليها للاستيلاء على سلاحها بتهمة الخيانة والرضى بالديمقراطية والسير في أجندات الغرب، فاستطاعت العشائر الدفاع عن نفسها، ووَقَعَتُ الفصائل في جدل شرعي في حكم القتال البياني والعدو يستبيح الأرض والعرض، فتفرقوا إلى أقوال؛ فمن قائل إن الدفاع عن النفس بحمل السلاح ضد مجلس شورى المجاهدين فتنة، وإن الله المقتول خير من القاتل، وقائل: ندفع الشر بأدنه المفسدين وهي ترك المناطق للمجلس حتى لا تُراق الدماء بين المجاهدين!. يتوقف التاريخ عن الحديث وهو مطرق الرأس متفكراً ثم يستمر قائلاً: أصبح لمجلس شورى المجاهدين مناطق حكم ذاتية لا يدخلها المجاهدون إلا خفية، ولا المدنيون إلا بعد امتحان على نقاط التفتيش التي تنتشر على مداخل تلك المناطق. عندها أعلن أبو عمر البغدادي عن أكبر كارثة مرت في هذا العصر؛ وهي التي تذوقون اليوم بعض ارتداداتها = دولة العراق الإسلامية. وسرعان ما باركت قيادة القاعدة في خراسان هذه الدولة، وزعمت أنها مستوفية لشروط البيعة، ويجب مبادعة أميرها البغدادي كأمير للمؤمنين، فرفضت العشائر والفصائل تلك البيعة والافتياض عليهم وعلى العراقيين بأمر كهذا، فخرج حينها بعض الشرعيين بشعار "حلف المطبيين" لـلـلـازـامـ النـاسـ بـهـذـهـ الـبـيـعـةـ سـبـيـلاـ لـلـتوـحـدـ وـكـأـمـلـ وـحـيـدـ لـلـخـلـاصـ منـ وـاقـعـ الفـصـائـلـ الـمـتـشـرـذـنـ، فـحـشـدـوـ لـذـلـكـ كـلـ دـلـيـلـ شـرـعـيـ وـعـقـلـيـ يـوـجـبـ تـلـكـ الـبـيـعـةـ، وـبـعـدـ إـعـذـارـ الشـرـعـيـيـنـ بـفـتوـاهـمـ، وـرـفـضـ الـعشـائـرـ وـالـفـصـائـلـ لـحـلـ الـمـطـبـيـيـنـ، خـرـجـتـ دـوـلـةـ الـعـرـاقـ إـلـاـسـلـامـيـةـ تـضـرـبـ وـجـوـهـ النـاسـ بـالـسـيـوـفـ، وـمـقـرـاتـهـ بـالـمـفـخـاتـ تـحـتـ دـعـوـىـ إـلـجـابـارـ عـلـىـ تـوـحـيدـ الصـفـ لـمـقاـوـمـةـ الـعـدـوـ الـمـحـتـلـ!.

هنا يقف التاريخ عن الحديث ويولينا ظهره، ويتركنا لذاكرتنا القريبة التي تخزل ما ذاقه أهل العراق من تجربة مجلس شورى المجاهدين الذي تطور إلى دولة العراق الإسلامية، ثم دولة الإسلام في العراق والشام، ثم الخلافة الإسلامية!. نعم أيها السادة فإن مشروع القاعدة في سوريا هو تكرار لمشروعها في العراق، فجيش فتح ثم مناطق حكم ذاتي ثم اندماج بيتل العشائر ثم إعلان إمارة ثم مقاتلة كل من لا يبايع!.

تأملوها وسترون أن مجلس شورى المجاهدين هو نفسه جيش الفتح، وأن مشروع مناطق الحكم الذاتي هو ما تستولي عليه فتح الشام الآن من مناطق، وأن حملات التخوين التي تطال بعض الفصائل والقادة هو تمهد للتمدد وتوسيع نفوذ الإمارة المرتقبة، وأن دعوى الاندماج الأخير هي لابتلاع الفصائل خارجه ثم التفرغ للفصائل المؤسسة له، وأن الاندماج الذي يسوقه بعض "الشريعيين" هو نفسه مشروع "حلف المطبيين" وقد صدر بلغة: الترغيب والترهيب!.

وصدق من قال: التاريخ لا يعيد نفسه كما يشاء لكن الإنسان يكرر غيابه.

وأصدق من ذلك وأعظم قول رب العزة والجلال: **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَذْانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ.**

المصادر: